



مكتبة أنفال
للتنقيب والدراستات العلمية

تجديد الأيمان

تأليف

عبد الرزاق بن عبد الرحمن البدر

الطبعة الثانية
٢٠١٨/١٤٣٩

تَجَرِيدُ اللِّسَانِ

تمّ تنسيقُ هذه المادة ومُراجعتها في



مكتب إنفان
للتنفيذ والدراسات العلمية

تَجَرِيدُ اللَّهِ بِمَا

إِعْمَادُ
عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ عَبْدِ الْحُسَيْنِ التَّيْمِيِّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على عبد الله
ورسوله وخليفه نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:
فإنَّ الإِيْمَانَ أهمُّ ما يجبُ على العبدِ العنايةُ به في هذه الحياة،
فهو أفضلُ ما اكتسبته النَّفُوسُ، وَحَصَّلَتْهُ الْقُلُوبُ، ونال به العبدُ
الرفعةَ في الدنيا والآخرة، بل إنَّ كُلَّ خَيْرٍ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
مُتَوَقِّفٌ على الإِيْمَانِ الصَّحِيحِ.

فينبغي على كُلِّ عبدٍ مؤمنٍ ناصحٍ لنفسه أن يتفَقَّدَ إِيْمَانَهُ،
وأن ينظُرَ في حاله مع الإِيْمَانِ؛ هل إِيْمَانُهُ في نِماءٍ وقوَّةٍ وزيادة؟ أو
أنه بخلاف ذلك إلى وَهْنٍ وضعفٍ ونقص؟

بل ما أَحْوَجُهُ إلى تجديدِ الإِيْمَانِ وَالسَّعْيِ في تَتْمِيمِهِ، والحذر
من مُنْقِصَاتِهِ وَمُضْعِفَاتِهِ، والسَّعْيِ في تقويته، فإنَّ الإِيْمَانِ تعثره

أُمُورٌ كَثِيرَةٌ تُنْقِصُهُ؛ مِنْ فِتَنِ الدُّنْيَا، وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، وَقُرْنَاءِ السُّوءِ، وَخُلَطَاءِ الْفُسَادِ، وَالنَّفْسِ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا ضَعْفُهُ وَنَقْصُهُ فَيَحْتَاجُ إِلَى سَعْيٍ حَثِيثٍ لَتَقْوِيَّتِهِ وَتَجْدِيدِهِ.

رَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثُّوبُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَجِدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»^(١).

فَوَصَفَ ﷺ الْإِيمَانَ بِأَنَّهُ يَخْلُقُ كَمَا يَخْلُقُ الثُّوبُ، أَيْ: يَبْلَى وَيَضْعُفُ، وَيَدْخُلُهُ النَّقْصُ مِنْ جَرَاءِ مَا قَدْ يَقَعُ فِيهِ الْمَرْءُ مِنْ مَعَاصٍ وَأَثَامٍ، وَمَا يَلْقَاهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مِنْ مُلْهِيَاتٍ وَصَوَارِفَ مُتَنَوِّعَةٍ تَصْرِفُهُ عَنِ الْإِيمَانِ، وَفِتَنِ عِظَامٍ تُزْهِبُ جِدَّةَ الْإِيمَانِ

(١) انظر: «المُستدرَك على الصحيحين» (٤/١)، و«المعجم الكبير» (٣٦/١٣)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٥٨٥).

وحيويَّته وقوّته، وتُضعِفُ جماله وحُسنه وبهاءه؛ وهاهنا أرشد النبي ﷺ إلى ضرورة تجديد الإيمان في القلب بالتوجّه الصادق إلى الله عزّ وجلّ فقال: «فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم».

فالمقام يتطلّب توجّهاً صادقاً إلى الله ﷻ، وسؤالاً مُلِحاً أن يزيد الإيمان ويقويه، وأن يُجدّده في القلب، وأن يمكّنه فيه، والله ﷻ يقول: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ولابدّ من جهاد النفس ومحاسبتها، وإلزامها بالحقّ وأطرها عليه أطراً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ولابدّ أيضاً من الحذر الشديد من الفتن، ولاسيّما في هذا الزمان الذي تكاثرت فيه الفتن التي تُضعِفُ الإيمان؛ بل كثيرٌ منها تأتي على الدّين من أساسه، وتنفّضه من أصله.

والإيمانُ أثمنُ شيءٍ في الوجود، وأعلى كنز في هذه الدنيا، ومن افتقده افتقد الحياة الحقيقية، فإنه لا حياة حقيقة للإنسان بلا إيمان، وأما مُجَرَّد المشي على الأقدام، والأخذ بالأيدي، والتكلم بالأسن دون الإيمان بالله ﷻ فهذه حياة بهيمية؛ لأنه يشترك فيها الإنسان والحيوان، أمَّا الحياة الحقيقية فهي حياة الطاعة للرحمن ﷻ، واتباع الرسول ﷺ؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

ولقد كان السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ من الصحابة ومن بعدهم يعنون بإيمانهم عناية كبيرة، ويهتمون به اهتماماً بالغاً، والآثار المنقولة عنهم في تفقُّد الإيمان والعمل على تقويته وتجديده كثيرة.

* فهذا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأصحابه: «هَلُمُّوا نَزِدْ دُإِيمَانًا»^(١)، وفي لفظ: «قُمْ بِنَا نَزِدْ دُإِيمَانًا»^(٢)،

(١) أخرجه اللالكائي في «الاعتقاد» رقم: (١٧٠٠)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» رقم: (٣١٠٠٣)، وإسناده صحيح.

أي: نجلسُ ونذكرُ اللهَ تبارك وتعالى، ونذكرُ الجنةَ، ونذكرُ النارَ، ونذكرُ وعيدَ اللهِ ووَعْدَهُ، ونذكرُ رجاءَهُ وخوفَهُ، فنذكرُ ذلكَ كُلَّهُ حتى يزيِدَ إيمانُنا وَيَقْوَى.

* وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «اجلسوا بنا نزد إيماناً»^(١)، وكان يقول في دعائه: «اللهم زدني إيماناً و يقيناً و فقهاً»^(٢).

* وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: «اجلسوا بنا نؤمن ساعة»^(٣).

* وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يأخذ بيد النَّفَرِ من أصحابه فيقول: «تعالوا نؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله فنزد إيماناً بطاعته؛ لعله يذكرنا بمغفرته»^(٤).

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم: (٤٤).

(٢) أخرجه الآجري في «الشریعة» (٢١٨)، وصحَّحه الحافظ في «الفتح» (٤٨ / ١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم: (١٠٥)، وصحَّحه الألباني في تعليقه على «الإيمان» لابن أبي شيبة (ص ٣).

(٤) المصدر السابق برقم (١١٦)، وهو حسنٌ بمجموع طرقه.

* ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «مِنْ فَقْهِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَمْرَدَاً هُوَ أَمْ مُتَّقِصٌ، وَمِنْ فَقْهِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ أُنَّى تَأْتِيهِ»^(١).
يريدُ أَنْ مِنْ فَقْهِ الْعَبْدِ أَنْ يَنْظُرَ فِي أَمْرِ إِيْمَانِهِ أَفِي زِيَادَةٍ هُوَ أَمْ فِي نَقْصَانٍ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَنْقُصُ إِيْمَانَهُ وَلَا يَتَّبِعُهُ؛ وَهَذَا مِنْ ضَعْفِ الْفَقْهِ وَالْبَصِيرَةِ.

* وَكَانَ عُمَيْرُ بْنُ حَبِيبٍ الْخَطْمِيُّ رضي الله عنه يَقُولُ: «الْإِيْمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ» فَقِيلَ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَنَقْصَانُهُ؟ قَالَ: «إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحَمِدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَضَيَّعْنَا وَنَسِينَا فَذَلِكَ نَقْصَانُهُ»^(٢).

* وَكَانَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ النَّخْعِيُّ رحمته الله وَهُوَ أَحَدُ كِبَارِ التَّابِعِينَ وَأَجَلًّا لَهُمْ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «امْشُوا بِنَا نَزِدْ إِيْمَانًا»^(٣).

(١) أخرجه ابن بطّة في «الإبانة» رقم: (١١٤٠).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣٨١ / ٤) وغيره، وسنده حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في «الإيمان» (١٠٤) وحسنه الألباني في تعليقه عليه.

* وسئل عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الإيمان أيزيد؟ قال: «نعم، حتى يكون كالجبال»، قيل: أفينقص؟ قال: «نعم، حتى لا يبقى منه شيء»^(١).

* وسئل الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الإيمان: يزيد وينقص؟ قال: «يزيد حتى يبلغ أعلى السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وينقص حتى يصير إلى أسفل السَّافِلِينَ السَّبْعِ»^(٢).

والآثار والنُّقُول عن الصحابة والتابعين والأئمة في هذا المعنى كثيرة، ومن نظر في سير هؤلاء الصحابة والتابعين والأئمة الأجلَاء أدرك كيف كانوا يتفقدون إيمانهم، ويسعون في زيادته وتقويته، ويتعدون عما يُضعفه ويُنقصه، وهكذا الشأن في كل من اتبعهم بإحسان.

قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فالعبد المؤمنُ

(١) أخرجه اللالكائي في «الاعتقاد» رقم: (١٧٤٠).

(٢) رواه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/٢٥٩).

الموفق لا يزال يسعى في أمرين:

- **أحدهما:** تحقيق الإيمان وفروعه والتحقق به علماً وعملاً حالاً.

- **والثاني:** السعي في دفع ما يُنافيها ويُناقضها أو يُنقصها من الفتن الظاهرة والباطنة، ويداوي ما قصّر من الأول، وما تجرّأ عليه من الثاني؛ بالتوبة النصوح وتدارك الأمر قبل فواته^(١).

وفي هذا تنبيه على أهمية مراعاة الجانبين؛ فيُعنى العبد بجانب تجديد الإيمان وقوّته وزيادته، والسعي في تكميله بفعل الطاعات وامتنال أمر الله ﷻ.

ويسعى في دفع الأمور التي تُضعفُ الإيمان وتُنقصُهُ.

وهذا يتطلّب معرفة أمرين عظيمين، ثمّ العمل والسّعي على تطبيقهما:

(١) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (ص ٨٣).

* **الأول:** أسباب زيادة الإيمان وقوته.

* **الثاني:** أسباب نقص الإيمان وضعفه.

وهي كثيرة، ولكن أشير إلى أهمّها على وجه الاختصار والإيجاز.

ونبدأ أولاً بذكر أهمّ الأمور الباعثة على زيادة الإيمان وتجديده:

نَعْلَمُ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ

فبالعلم النافع - علم الكتاب والسنة - يزيد الإيمان ويقوى حتى يتمكّن في القلب، وأبواب العلم الشرعي كثيرة جداً، وأوّل ما يدخل في ذلك قراءة القرآن الكريم وتدبُّره، فإنّ كلام الله من

أَعْظَمَ مَا يَزِيدُ الْإِيمَانَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ أَيْتُكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا
وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا
إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا

فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ

أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ وَتَلَاوْثُهُ وَالتَّأَمُّلُ فِي آيَاتِهِ يَزِيدُ فِي إِيمَانِ الْعَبْدِ.

معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العُليا

فإن الله ﷻ يقول: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال النبي الكريم ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

فمعرفة أسماء الله تعالى الحسنى ومعرفة معانيها ثم العمل بها تقتضيه من أعظم أسباب زيادة الإيمان.

(١) أخرجه البخاري رقم: (٦٤١٠)، ومسلم رقم: (٢٦٧٧).

التأمل في سيرة النبي الكريم ﷺ

فإنَّ التأملَ في سيرة النبي ﷺ وهديه، وآدابه، وأخلاقه، ومعاملاته، وجهاده، وبذله وعطائه، وغير ذلك؛ من أعظم ما يزيد الإيمان.

ولذا حرص السلفُ رضي الله عنهم على تعلُّم السَّيرة النبوية، وتعليمها لأبنائهم، وأهليهم، كما قال زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما:
«كُنَّا نَعْلَمُ مَغَازِيَ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا نَعْلَمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ»^(١).



(١) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» رقم: (١٥٩١).

معرفة محاسن الدين الإسلامي

فالدين الإسلامي كُلُّهُ محاسن، إن نظرتَ إلى العبادات
ستجدُ أنها أكمل العبادات وأحسنها، وإن نظرتَ إلى العقائد
ستجد أنها أصح العقائد وأقومها، وكذا آدابه وأخلاقه أكمل
الأخلاق وأجملها وأطيبها، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

فبالنظر إلى هذه المحاسن يزداد العبد حبًّا لهذا الدين، وإقبالاً
عليه، وعملاً وسعيًا في تطبيقه.



قراءة سِيرِ السلف الصالح

إنَّ قراءةَ سير السلف الصالح - كسيرة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة الذين هم، وسير التابعين والأئمة الذين هم - قراءة تأملٍ وتدبُّرٍ وتعاظ من أسباب زيادة الإيمان، كما قيل:

كَرَّرَ عَلَيَّ حَدِيثَهُمْ يَا حَادِي

فَحَدِيثُهُمْ يَجْلُو الْفَوَادَ الصَّادِي

قال محمد بن يونس رحمته: «ما رأيتُ للقلبِ أنفعَ من ذكر الصالحين» ^(١).

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/١٨).

التأمل في آيات الله الكونية

فالتأمل في خلق الله ﷻ من الأشجار والجبال والأنهار والبحار والأودية والسماء والأرض والنجوم والقمر وغيرها يزيد في الإيمان، بل لو تأمل الإنسان في نفسه، كيف أن الله خلقه في أحسن تقويم، وعلى أكمل حال، سيجد زيادةً في إيمانه وقوةً، كما قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، وقال ﷻ: ﴿سَرِّهِمْ أَعْيَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

ولله في كل تحريرة وتسكينه أبداً شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

طَاعَةُ اللَّهِ وَأَمْتَالُ أَمْرِهِ

تَقَدَّمَ مَعَنَا قَوْلُ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ الْخَطْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَالْإِيمَانُ يَزِيدُ بِالْعِبَادَاتِ كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَغَيْرِهَا، فَبطَاعَةِ اللَّهِ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ وَبِأَمْتَالِ أَوَامِرِهِ يَقْوَى الْإِيمَانُ وَيَزْدَادُ.

وَالْأَعْمَالُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٌ:

- ١- أَعْمَالُ الْقَلْبِ: مِثْلُ: الْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالْحُبِّ، وَالْخَشْيَةِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

٢- وأعمال اللسان: مثل: التَّسْبِيح، والتَّحْمِيد، والتَّكْبِير،
والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقراءة القرآن.

٣- وأعمال الجوارح: مثل: الصدقة، والصلاة، والزكاة،
والمشي في طاعة الله تبارك وتعالى، فهذه الأمور كلها تزيد الإيمان.
وهذا تلخيص موجز للأمور التي يزيد بها إيمان العبد،
ويقوى، وأمّا الأسباب والأمور التي يضعف بها الإيمان وينقص
فهي بلا شك كثيرة أيضاً، والعبد مطالب بمعرفتها؛ ليحذر
منها ويتقيها، كما قال الشاعر:

عرفتُ الشرَّ لا للشر ولكن لتوقيه

ومن لم يعرف الشرَّ من الخير يقع فيه

وقبل الشُّروع في ذكر الأمور التي تُنقص الإيمان يحسُن أن
أشيرَ إلى أنَّ عدمَ تعاهد أسباب زيادة الإيمان، وإهمال تقويته،
وترك العناية به يُعدُّ سبباً من أسباب نقص الإيمان.

ثم إنّ هناك أسباب وعوامل عديدة ومتنوعة ينقص بها الإيمان ويضعف، ويمكن أن نَقْصِمَهَا إلى قسمين رئيسين، ويتفرّع عنهما عوامل كثيرة:

- **القسم الأول:** الأسباب الداخلية أو العوامل الذاتية التي لها تأثير على الإيمان بالنقص.

- **والقسم الثاني:** الأسباب والعوامل الخارجية التي تؤثر على الإيمان بالنقص.

فأمّا القسمُ الأوّل؛ وهي الأسباب الداخليّة التي يكون منشأها من الإنسان نفسه، فأبرزها الآتي:

❖ الجَهْلُ ❖

وهذا أهمُّ الأسباب الداخلية، والجهلُ ضد العلم، فكما أنّ العلمَ يزيد في الإيمان ويُقوِّيه، فكذلك الجهل وقلة العلم ينشأ عنه ضعف الإيمان، ولهذا بيّن الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم في كثيرٍ من

النُّصُوصُ أَنَّ سَبَبَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي هُوَ الْجَهْلُ؛
 كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ
 قَوْمٌ بَٰتِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ
 وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (٥٤) أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ
 قَوْمٌ بَٰتِلُونَ﴾ [النمل: ٥٤-٥٥].

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ
 أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
 الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وَالآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ.

فَالْجَهْلُ رَأْسُ الدَّاءِ، وَأَسَاسُ الْمَصِيبَةِ؛ فَعِنْدَمَا يَجْهَلُ الْعَبْدُ
 دِينَ اللَّهِ، وَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ فِعْلُ الْمَعَاصِي، وَالانْحِرَافُ
 الْبَيِّنُ عَنْ دِينِ اللَّهِ ﷻ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ

يَعْمَلُونَ الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿النساء: ١٧﴾.

والجهالة في هذه الآية: تعني جهالة الفاعل لعاقبة المعصية -والتي من أهمها سخط الرب عليه وعقابه- فإنه ينغمس فيها وتكثر منه، ولهذا كل من عصى الله ﷻ فهو يجهل ما يترتب على هذه المعصية من أضرار وأخطار كثيرة في الدنيا والآخرة.

﴿الْغَفْلَةُ﴾

فإذا غفل الإنسان عما خلق له ضَعُفَ إيمانه، والله ﷻ ذم الغفلة في كتابه، وحذر أشد التحذير من سبيل الغافلين، ويبن ربنا في كتابه أنها صفة الكافرين، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا الْغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

وقال الله ﷻ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ

غَافِلُونَ﴾.

فالغفلة - وهي سهو يعتري الإنسان - داءٌ خطيرٌ يُصيبُ الإنسانَ ويُبعدهُ عن ذكر الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وعن امتثال أمره، والاطمئنان لطاعته **سُبْحَانَهُ**.

❖ الإِعْرَاضُ ❖

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيَّاتٍ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾؛ فالإِعْرَاضُ عَمَّا أمر الله **سُبْحَانَهُ** به من صفة المجرمين؛ الذين ينتقم الله **سُبْحَانَهُ** منهم، فلا ينبغي لعبده عندما يسمع كلام الله **عَزَّ وَجَلَّ**، أو يسمع حديث رسول الله **ﷺ** أن يُعرض عنه؛ بل الواجب أن يُقبل على طاعته وامتثاله وأتباعه.

وصحَّ عن أبي واقد الليثي **رضي الله عنه**، أن رسول الله **ﷺ** بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر؛ فأقبل اثنان إلى رسول الله **ﷺ** وذهب واحدٌ، قال: فوقفا على رسول الله **ﷺ**؛ فأما أحدهما: فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر:

فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»^(١).

النسيان

فإذا نسي العبد ما أمر به ضَعُفَ إيمانه، والنسيان نوعان:

١- نسيان لا يُعَذَّر فيه الإنسان: وهو ما كان أصله عن تعمّدٍ

منه، ومن هذا النوع قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ

فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].

٢- ونوع يُعَذَّر فيه الإنسان: وهو ما لم يكن عن تعمّدٍ منه،

كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٦)، ومسلم في "صحيحه" برقم: (٢١٧٦).

وقد جاء في الحديث أَنَّ الله تعالى قال: «قد فعلت»^(١).

﴿فِعْلُ الْمَعَاصِي وَارْتِكَابُ الذُّنُوبِ﴾

فكما أَنَّ الإِيْمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ فهو يَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ، وأنواع المعاصي كثيرة، وقد بَيَّنَّهَا النَّبِيُّ ﷺ جَمَلَةً وَتَفْصِيلاً، وَبَيَّنَّ الْكَبَائِرَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالصَّغَائِرَ بِأَعْظَمِ بَيَانٍ وَأَوْضَحِهِ.

ولهذا يَنْبَغِي عَلَى الْعَبْدِ أَيْضاً أَنْ يَعْرِفَ حَجْمَ الْمَعَاصِي، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ خَطَرٍ وَضَرَرٍ حَتَّى يَتَحَاشَاهَا، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نَكْةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبُهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(٢).

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» كتاب الإيمان، رقم: (١٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٣٣٣٤)، وحسنه الألباني في «الترغيب» رقم: (٢٤٦٩).

﴿النَّفْسُ الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ﴾

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، وكان عليه السلام يستعيذ في خطبه من شر النفس، قال عليه السلام: «الحمد لله نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا»^(١)، فاستعاذ من شر النفس ومن سيئ العمل.

وثبت عنه عليه السلام في الدعاء الذي علّمه أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقوله في الصباح والمساء وعند النوم: «قل: اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه»^(٢) فأمره عليه السلام أن يستعيذ في الصباح والمساء

(١) أخرج هذه الخطبة الترمذي في «جامعه» رقم: (١١٠٥)، وغيره، وأصلها في «مسلم» رقم: (٨٦٨)، وصححه الألباني في رسالته «خطبة الحاجة».

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعه»، رقم: (٣٣٩٢)، وغيره، وصححه الألباني في «الكلم الطيب» (٢٢).

وعند النوم من شر نفسه، فإنَّ النفسَ تأمرُ الإنسانَ بالسوء والفساد وفعل المعاصي، وتدعو إلى المهالك، وتسعى إلى كل قبيح، فهي بطبعها تجري في ميدان المخالفة والإعراض.

أما القسم الثاني فهو: الأسباب والمؤثرات الخارجية التي تؤثر في الإيمان بالنقص؛ وتتلخَّص في ثلاثة عوامل:

﴿الشيطان﴾

وهو أخطرُها وأشدُّها ضرراً؛ فالشيطان هو ألدُّ أعداء الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وقد حذّرنا ربُّنا منه أشدَّ التحذير، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

ومن مظاهر خطره أنه يجلسُ للإنسان في كل طريق؛ سواء كان هذا الطريق طاعةً لله وقُربة، أم كان الطريق في معصية؛ كما أخبرنا الله ﷻ عن الشيطان أنه قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ثُمَّ لَا تَنِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿[الأعراف: ١٦-١٧].

فأما طريق الطاعة والقُربة فإنه يُشَبِّطُ عنها، ويَحُولُ بينه وبينها، وأما طريق المعصية فيَحْتُثُّه على فعلها ويدفعه إليها، فهو من أخطر ما يكونُ على الإيمان.

قال ابن القيم رحمه الله وهو يضرب مثلاً عجيباً لحال الشيطان مع الإنسان: «إذا أردتَ لذلك مثلاً مُطابِقاً؛ فمثله مثل كلب جائع شديد الجوع، وبينك وبينه لحم أو خبزٌ، وهو يتأملُك ويراك لا تقاومُه، وهو أقرب منك، فأنت تزجرُه وتصيحُ عليه وهو يأبى إلا التحوُّمُ عليك، والغارة على ما بين يديك»^(١).

(١) «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٤١٩).

ومرادُه رَحِمَهُ اللهُ بهذا المثل: توضيح مدى خطر الشيطان على الإنسان إذا لم يستعذ بالله من شرّه.

﴿الدنيا وفتنُها﴾

هذا العاملُ خطيرٌ جدًّا في التأثير على الإيمان بالنقص، لاسيَّما إذا صارت الدنيا أكبرَ همِّ الإنسان، ومبلغ علمه، فعلى قدر حرصه عليها ورغبته وافتتانه فيها يكون ثقافله عن الطاعة والعبادة.

والله تَعَالَى قد حذّرنا من الافتتان بها أشدَّ التحذير، قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهِيْجُ فَرَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ الْغُرُورِ﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وإنَّ ممَّا يعين العبد على إدراك حقيقة الدنيا والزهد فيها، وطلب ما عند الله والدار الآخرة أمرين:

* **الأول:** النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها، وأنَّ العبدَ سيفارقها إمَّا عن قريب أو بعيد.

* **والثاني:** النظر في الآخرة، وأنها آتيةٌ عما قريب، وأنها دار القرار، وأنها خيرٌ وأبقى، فإذا تأمل العبد في مثل هذا انتفع أعظم الانتفاع.

﴿قِرَاءُ السُّوءِ﴾

قد صحَّ عن النبي ﷺ التحذير من قرين السوء وخليط الفساد، قال: «الرجلُ على دين خليله؛ فليَنظُرْ أحدكم من يخالُلُ»^(١)، ولهذا ينبغي على المؤمن أن لا يُصاحبَ إلا مَنْ تعود صحبته عليه بالخير والنفع في دينه، وأن يحذَرَ من مخالطة كلِّ أحد.

- يقول الفضيل بن عياض رحمته الله: (ليس للمؤمن أن يقعدَ مع كُلِّ من شاء)^(٢).

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم: (٩٢٧).

(٢) أخرجه ابن بطّة في «الإبانة» (٤٨١ / ٢).

- ويقول سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس أبلغُ في فسادِ رجلٍ وصلاحيهِ من صاحبٍ) ^(١).

- ويقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اعتبروا الناسَ بأخْدانِهِمْ، فَإِنَّ المرءَ لَا يُخَادِنُ إِلَّا من يُعْجِبُهُ) ^(٢).

فخُلِطَةُ الفَسَاقِ وأهل السُّوءِ من أعظم أسباب نقص الإيمان وضعفه، بل وربّما اضمحلَّ له وتلاشيَّه، وذلك بحسب حال هؤلاء في السُّوء وبحسب خلطته لهم.

وممّا استجدَّ في زماننا - وهو داخل في حكم الصَّاحِبِ بل أمره أشدُّ- الجلوس إلى القنوات الفضائيَّة والمواقع المنحرفة في الشَّبكة العنكبوتيَّة، حيث تمكَّن أعداء الدِّين من خلال هذا المجال من الدُّخول إلى المساكن والبيوت يحملون فِتْنَهُم

(١) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة» (٢/ ٤٧٨).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٣٩).

وسمومهم وينشرون رذائلهم وحقاراتهم وفجورهم، وكانوا سابقاً يعجزون عن الوصول إلى أفكار الشباب وعقول الناشئة.

وإنَّ من المؤسف حقاً أنَّ في أبناء المسلمين وبناتهم من يجلس أمام هذه الشاشات المدمرة الساعات الطَّوال يُصغي لهم بِسَمْعِهِ وينظر إليهم بِعَيْنِهِ، ويُقبل على ما يعرضونه بِقلْبِهِ، ومع مرِّ الأيام تتسلَّل الأفكار الخبيثة، وتتعمَّق المبادئ الهدَّامة، وتُغزى العقول والأفكار، ويتزايد الشرُّ والفساد.

والواجب على المسلم أن يصون نفسه وبيته عن معاول الهدم وطرائق الشرِّ، فالأمر في غاية الخطورة، والحافظ هو الله، ومَن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم.

اللَّهُمَّ أصلح لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخِرَتنا التي إليها معادُنا، واجعل

الحياة زيادةً لنا في كلِّ خير، والموت راحةً لنا من كلِّ شرٍّ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقَوِّيَ إِيْمَانَنَا وَيَزِيدَهُ، وَأَنْ يَجِدِّدَ

الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِنَا، وَأَنْ يَجْعَلَنَا هِدَاةَ مُهْتَدِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

